المحاضرة الثالثة

جغرافيا بلاد النهرين

1. التسميات القديمة للعراق:

إختلف المؤرخون في تحديد الأصول الأولى التي أشتقت منها كلمة " العراق" كما قابله عدم الاتفاق في تحديد معناها' حيث هناك من يرى أنها ذات صلة بالكلمة السومرية" أونوك" أو " أورك" التي تأتي بمعنى المستقر وبذلك سميت المدينة المشهورة "الوركاء"، ويعتبروها آخرون كلمة عربية الأصل ومعناها الشاطئ، فالبلاد القريبة من البحر هي عراق، وباعتبارها شاطئا لنهري دجلة والفرات أطلق عليها هذا الإسم لكن في المقابل يتبنى بعض الباحثين أن أصلها أجنبي وتعني إيراء بمعنى الساحل وقد عربت إلى إيراق ثم عراق، إذ تجدر الإشارة إلى أن أول استعمال لإسم العراق قد ورد في أواخر العهد الكشي الذي أعقب عهد سلالة بابل الأولى(1894-1595ق م)، حيث أطلق على موضع أو مقاطعة بهيئة " أريقا- -Ariqua" وذلك في وثيقة مسمارية من نفس الفترة المذكورة، وإذا كان يرجح بأنها كلمة فارسية تعني السواد أو السهل او البلاد السفلى فإن بعض المفسرين العرب أطلقوا على القسم الجنوبي من العراق "السواد" اما القسم الشمالي إسم "الجزيرة" وهي كلمة تطابق في معناها كلمة ميزوبوتاميا .

ظهر أيضا عند الكتاب الإغريق والرومان إسم "بلاد مابين النهرين"أو "ميزوبوتاميا"- La Mésopotamie-في الفترة مابين مابين القرن الرابع والقرن الثاني قبل الميلاد، حيث كان هذا المصطلح يطلق في البداية على المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وعندما شاع استعماله لدى الكتاب الأوربيين إمتدت لتشمل أكثر من مناطق العراق الحالي حيث لازال المؤرخون يستعملونه عند الكلام عن تاريخ العراق القديم .

غير أن بعض الكتاب الإغريق لاحظوا قصور لفظ "ميزوبوتاميا" ليحل محله لفظ "باربوتاميا"-Parapotamia- أي خارج النهرين أو ما حولهما لكن الأحسن أن نقول بلاد النهرين وهو في حد ذاته مصطلح وارد في التوراة بصيغة "أَرَامِ لنَّهْرَيْ

2. الأنهار

ينبع نهرا دجلة والفرات من جبال أرمينيا، في البداية ، يكونان قريبين جدا من بعضـــهما ثم يتباعدان جدا ولا يقتربان مرة أخرى إلا عند دخولها أرض العراق الحالي (هنا يبدأ الوادي المســـمى ميزوبوتامي، يقسم الوادي قسمين ، الأعلى والأدنى ، يختلفان في شروطهما الطبيعية). أنظر الخريطة

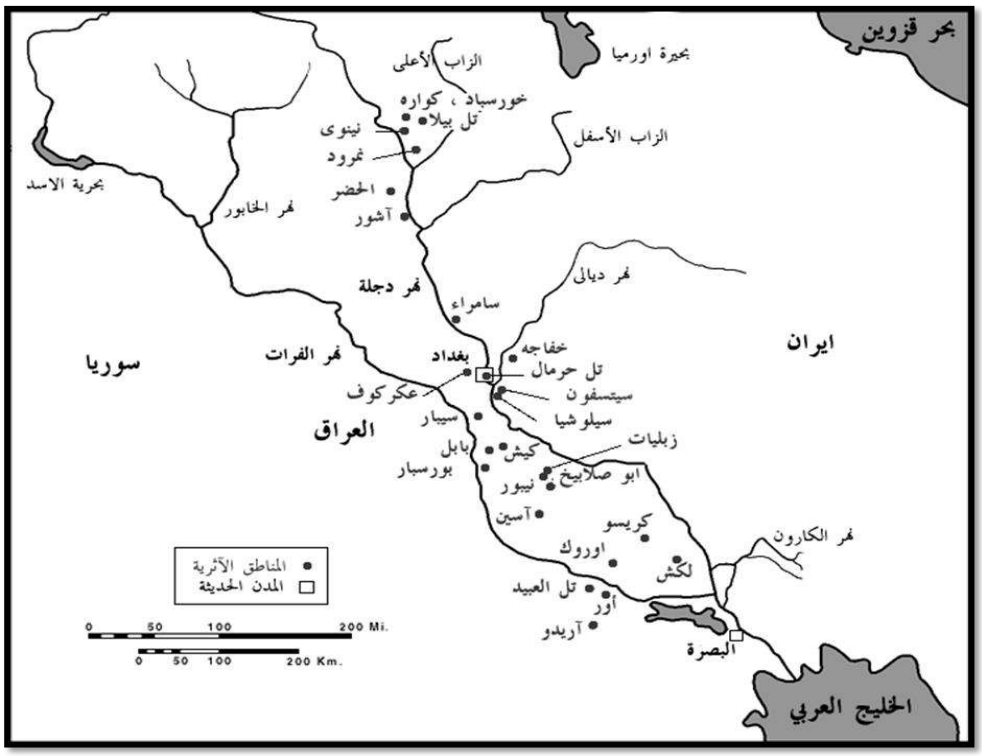

خريطة بلاد العراق القديم وأهم أنهاره ومدنه

3. أصل الشعوب وأنظمة حكمهم.

أ. أصل الشعوب

أولا. السومريون

كان هذا الاسم يُشير أوّلاً إلى الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين السّفلى، وأُطلق اسم السومريين على الذين كانوا يُشكلون أغلبية سكان هذا الجزء في مطلع التاريخ(أي نحو حوالي3000 ق.م)، ومن الأرجح أنهم جاؤوا من الجنوب أو الجنوب الشرقي، وأُعطِيَ الاسم لِتلك اللهجة المعزولة لُغوياً التي كانوا يتكلمونها ويكتبونها، إذ اختلف الباحثون حول أصل السومريين بين الأصلي المحلي أي الداخلي والاجنبي أي الخارجي.

إن التعمق في أصولهم جعل معظم الدراسات والأبحاث تذهب إلى القول بأن السومريين ليسوا من سكان العراق الأصليين، وإنما هاجروا إليه من منطقة غير معروفة في الوقت الحاضر، في المقابل نجد هناك من يعتبرهم من سكان الأقسام الشمالية من العراق، حيث نزحوا منه إلى القسم الجنوبي في شكل جماعات مهاجرة وذلك بسبب تزايد السكان الذي حدث في الجزء الشمالي أثناء حضارتي سامراء وحلف والذي أصبح لا يتناسب وكمية المواد الغذائية التي تنتجها المنطقة، فأدى هذا التزايد إلى هجرة أخري، والمناطق التي سكنتها هذه الجماعات المهاجرة نمت وتطورت وكونت دويلات المدن السومرية المعروفة في التاريخ، وبسبب كون مجيء السومريين إلى القسم الجنوبي قد حدث في فترة سبقت ظهور الكتابة، فإن ما ذكرناه بشكل قاطع أمر غير ممكن:

نظامهم السياسي(نظام الدولة المدينة) في الأصل تشكلت هناك في سومر دول مستقلة (أريدو، أور، ثور،شورباك، أوما ، لاغاش، كيش.....إلخ)

أنظر المخطط المتعلق بنظريات أصل السومريين

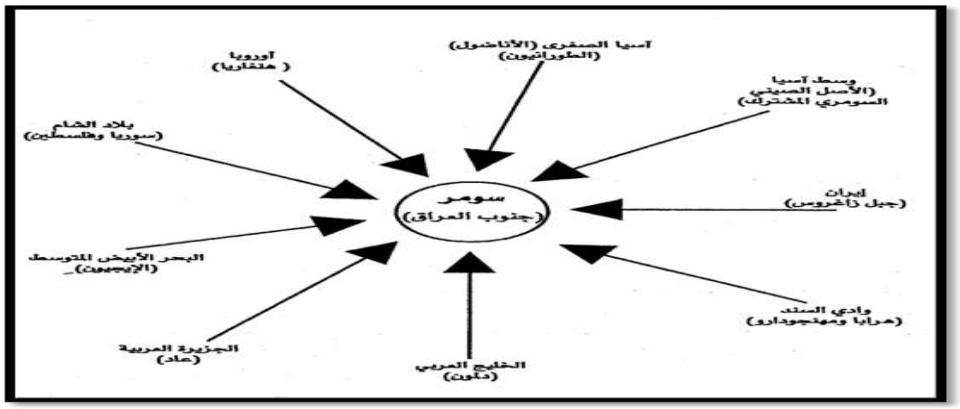

ثانيا–الجزريون:

إن الحديث عن الأقوام الجزيرية(الأكادية– الأمورية(البابلية)–الاشورية– الكلدانية)، هو ليس حديث عن أصول وجذور حضاراتهم المتعاقبة على المنطقة بالرغم من أهميتها فقط، بل يعتبر مجيئهم بمثابة تغير جذري ونجاح في الواقع الوحدوي الذي شهدته المنطقة عبر مراحله التاريخية، فنجاح هذا المشروع من خلال تسلم هذا المشعل و انتقاله من سلالة حاكمة إلى أخرى، وبغض النظر عن طبيعة الإنتقال والتحول في تسلم زمام الحكم وما تخلّلها من نفوذ أجنبي كالجوتيين أو السومريين السابقين لهم في إرساء بوادر لهذا الفكر، إلا أنهم خلال عصر هم الحديث عايشوه وعاينوه ونجحوا في كواقع بعدما كُتب لها الفشل والإخفاق في عصرها القديم والأول، إلا أن سياسة الفكر الوحدوي للأقوام الجزيرية قد طغت على المنطقة وعمّرت لفترة طويلة، بل تعدتها نحو الخارج، بعدما نجحت في التحكم على مختلف السكان المحليين والأجانب من خلال اعتماد أساليب الفكر الوحدوي سواء في طابعه السلمي أو العسكري ، ومع أن الكفة ترجح لهذا الأخير ومن هنا تأتي مرة أهمية البحث في أصل هؤلاء السكان

أ.الأكاديون

أكاد اسم مدينة قديمة يعتقد أنها كانت غير بعيدة عن سيبار، وفي النصف الأعلى من بلاد الرافدين الوسطى، وشمل اسم الأكاديون فرع من هجرات سامية متتالية تكاثرت أعدادها في بلاد الرافدين والشام قبيل منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، ثم تشعبت فروع كثيرة فكان منها ما انتشر في بوادي الشام، واتجهت آمال بعض جماعاته إلى مناطق الهلال الخصيب فيها، كما اقتربت من المناطق الخصبة في أواسط حوض نهر الفرات ببلاد الرافدين إذ من المحتمل أنّ هذه الدفعات الأولى من الساميين قد استقروا منذ عصر ما قبل التاريخ في شمال القسم الجنوبي من بلاد الرافدين، أي في منطقة

أكاد، ومن هذه المنطقة تسربوا خلال السومريين وتمركزوا في المنطقة بعد ذلك، و لم يتأخروا باللّحاق بالمستوى الحضاري للسومريين، حيث أخذوا هناك بتطوير تراثهم الحضاري خلال الحقبة الممتدة من (2350-2150 ق.م) إذ يمثلون في رأي الباحثين، واحدة من أقدم هجرات القبائل الناجحة في توحيد بلاد النهرين في شكل أمة واحدة

ب-الأموريون:

لا يعنى بطبيعة الحال أن الموجة الأمورية هي أولى موجات جزيرة العرب إلى الأقسام الشامية والرافدية، كونها متصلة اتصالا مباشرًا بجزيرة العرب من ناحيتها الشمالية، وانسياح الموجات من جزيرة العرب إلى الأقطار المجاورة لها في الشمال والجنوب تمثل مرحلة بعينها، فقد كان في الأنحاء المقصودة للهجرة سكان وعمران، بالتالي يعتقد أن الأموريين جاؤوا من شمال جزيرة العرب إلى بادية الشام، ثم اخذوا يتسربون منها إلى بلاد الشام وأرجائها الشمالية(ماري) وحوض الفرات، وكان هذا الحوض مركز تكتلهم، ومنه تدفقوا في بلاد الرافدين يطلق الباحثون المحدثون أحيانا اسم الكنعانيين الشرقيين على الأقوام الأمورية تمييزًا لهم عن الكنعانيين الغربيين الذين استقروا في الساحل السوري باعتبار أنّ كل من المجموعتين تنتميان إلى مجموعة رئيسية واحدة، تفرقت عند هجرها فاستقر بعضها في بلاد الشام واتجه البعض الأخر إلى بلاد الرافدين لذا أطلق عليهم بعض الباحثين الغربيين العصر الأموري لانتشارهم في شمال سوريا وبلاد النهرين على شكل دول و مجموعات اجتماعية مختلفة جداً بدلاً من مصطلح الفترة البابلية القديمة إذ كانوا يتدفقون عبر سهول بلاد ما بين النهرين المفتوحة، فاستولوا على المدن، وقتلوا حكامها المحليين مستغلين الوضع السياسي المتمثل في انفصال العديد من الدويلات المدينية واستقلالهم عن سلالة أور الثالثة قبل نهاية عهدها ووحدتها

ج-الأشوريون:

يعرف مصطلح الأشوريين في المصادر الآرامية والعبرية باسم" أثور" وفي المسمارية باسم "مات أشور "، بمعنى بلاد ، كما أوردت مصادر أخرى أشكالاً هجائية متعددة للكلمة مثل" أش شر" أو "أشوار" أو " أشر".

لما كانت الحقبة التي عاشتها بلاد أشور طويلة الأمد(2000-612 ق.م) تخلّلتها عدة تقلّبات، فقد ارتأى الباحثون تقسيمها إلى ثلاثة عصور رئيسية:

-العصر الأشوري القديم(2000-1500 ق.م).

-العصر الأشوري الوسيط(1500-911 ق.م).

-العصر الأشوري الحديث(911-612 ق.م)

يعرف موطنهم اليوم باسم قلعة الشرقاط، لم يكن أسم أشور أيضاً معروفا في القسم الشمالي من العراق قبل الألف الثالث قبل الميلاد، بل كان يطلق على السكان القاطنين في المنطقة اسم

"سوبارتيين"، بينما يطلق على البلاد اسم "سوبارتو"، وعند مجيء الأشوريين إلى المنطقة غلب اسم ونفوذهم على البلاد، فانصهر السوباريون مع الأشوريين، بينما نزح البعض منهم إلى المناطق الجبلية، وتتمثل البلاد جغرافيا بالجزء الشمالي من العراق ومن الصعب تحديد حدودها نظرًا لتغيرها المستمر تبعًا لتغير الظروف السياسية والعسكرية وقوة أو ضعف الدولة الاشورية والبلدان المجاورة لها' إذ تميّز الأشوريون بوحدة الأرض والخصائص الثقافية وبوحدة كبيرة لذلك الزمان في اللغة والوعي العرقي الذاتي وبضعف دور روابط القربى الدموية وفي كثير من الأحيان بغيابها، وفي الدلالة التاريخية المحددة الضيقة، تدل بلاد أشور على كيان سياسي كانت منطاقة المركزية الاساسية تمتد غربي دجلة والفرات، بين نهري الزاب العلوي الكبير والزاب السفلي الصغير، هذا إذا استبعدنا جانباً اتساعاته الجغرافية التي بلغها عبر قرون الوحدة

د–الكلدانيون

نجد في العهد القديم عبارات تقترح الأصل المشترك والبلد الواحد للسبئيين والكلدانيين على أنه بلاد اليمن، لكن يستشف من هذه النصوص الصريح بأنّ مرابع الكلدانيين كانت على مقربة من تلك التي لِلسبئيين، وإذا كان المعروف أنّ السبئيين هم سكان اليمن، فهل الكلدانيون كانوا يقطنون جنبًا إلى جنب مع السبئيين في بلاد العرب الجنوبية؟ أم أن السبئيين كانوا يقطنون إلى جانب الكلدانيين في التخوم الشمالية لجزية العرب؟ وهناك من لا يتحمس لأي من النظرتين، وتبدوا الأولى أكثر معقولية، فمن جزيرة العرب خرجت أغلب الموجة الكلدانية في وقت قد يصعب تقريره.

وإذا ما أردنا أن نقترب من تحديد لمكان الذي اندفع منه هؤلاء القوم، فهناك وجهتان للنظر في هذا الخصوص، تنصب الأولى في كون الجنوب الغربي من جزيرة العرب(اليمن) المنطقة التي هاجر الكلديون منها، سائرين عل طول البحر العربي وداخلين الخليج ومستقرين مدة طويلة عل ساحله، حيث طغى هذا العنصر على المنطقة كلها، حتى شاع اسمهم في الخليج العربي فسمي البحر الكلداني.

أمّا وجهة النظر الثانية للباحثين فتعتمد على الأدلة الكتابية الكلدانية التي تشبه حروفها الحروف العربية القديمة (حروف المسند)، واستدلوا من ذلك على أن هؤلاء المهاجرين الذين ربما كان أصلهم من عمان هاجروا إلى ساحل الخليج، ثم انتقلوا منه إلى بلاد الرافدين ، ونقلوا معهم خطّها القديم ، إلاّ أنهم تركوه نظرًا لتأثرهم بالثقافات المتواجدة هناك

المحاضرة الرابعة

ب. النظام السياسي:

أولا .الدولة المدينة:

تميّزت بداية العصر التاريخي في بلاد الرافدين بما يسمى"نظام حكومات المدن"، الذي تبناه السومريون، أولى شعوب بلاد النهرين، ويعني هذا النظام أنّ لكل دويلة كيانها المستقل عن حكومات المدن الأخرى في القسم الجنوبي من البلاد، بسبب الانتقال من مرحلة القرية إلى مرحلة المدينة، وهذا يعني أنّ أقوامها لم يستطيعوا تحقيق الوحدة السياسية للمنطقة، وبالتالي اعتمدت الحياة السياسية على إمارات المدن ودويلاتها، وترتّب عن ذلك أن تعاصرت دويلات وأسر حاكمة في كثير من دول مدن الجنوب، وربما كان السبب في ذلك طبيعة هذا القسم الجنوبي، فقد حالت المساحات الشاسعة من المستنقعات دون سهولة الاتصال فيما بين القرى والمدن، الأمر الذي أعاق تحقيق الوحدة السياسية

ثانيا. الدولة الموحدة:

إنّ محاولات التوحيد كان قد سعى إليها بعض أمراء دويلات المدن، ومنهم "مسيلم" ملك كيش، والذي استطاع أن يبسط نفوذه على منطقة السّهل الرسوبي من جنوب بلاد الرافدين، واتخذ لنفسه لقب "الملك" لأوّل مرّة، كما حاول الملك "مس أنيبدا" مؤسّس سلالة أور الأولى ذلك، غير أنّ عملية التوحيد تمّت في نهاية ذلك العصر،عندما استطاع الملك "لوكال زاكيزي" حاكم مدينة(أوما) وأشهر ملوكها الذي حكم نحو خمسة وعشرون سنة، حيث تمكّن من ضم مدينة(لجش) و(أور) و(الوركاء) و(كيش)، أي أنّه توسّع في الجنوب والشمال، ونتيجة لهذا التوسع الذي وحّد به البلاد، غيّر لقبه السياسي من(إنسي– أوما) أي حاكم مدينة إلى (لوكال– كالاما) والتي تعني حاكم البلاد' وتبع تلك المحاولة محاولات أخرى ناجحة، فقامت في بلاد الرافدين دول وإمبراطوريات ضمّت جميع أنحاء البلاد إضافة إلى بعض الأقاليم والبلدان المجاورة لترسيخ مبدأ الوحدة السياسية والتوسعات الخارجية.

ونظام الدولة الموحدة: وهو النّظام الذي نشأ بعد سقوط نموذج دولة المدينة، الذي عجز عن تلبية احتياجات البلاد وتنظيم العلاقة بين أقسامها الإدارية، فكان اشتداد الخلافات والنزاعات حول قنوات الري والأراضي الزراعية قد دفع بعض الحكام إلى توسيع نفوذه السياسي ليشمل مدنًا أخرى، وقد تكررت المحاولات لتحقيق هذا الهدف، ودامت طوال عصر فجر السلالات، حتى تُوجّت برسوخ نظام الدولة الموحدة، وكان أول نجاح هو الذي حققه "سرجون الأكادي" في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وسار على سياسة وخُطى سرجون بعض السلالات الأخرى مثل

سلالة أور الثالثة خلال عصر الإحياء السومري في الفترة (2112-2004 ق.م) وسلالة بابل الأولى خلال العصر البابلي القديم في الفترة (2004-1595 ق.م).

يلي ماسبق العصر الأشوري، الذي يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل: العصر الأشوري القديم(2000-1500ق.م) لكن كمملكة مستقلة ثم تابعة لسلالة بابل الأولى، ثم العصر الأشوري الوسيط (1500-911 ق.م)، فالعصر الأشوري الحديث(911-612 ق م)، محققة خلال المرحلتين الأخيرتين السير نحو الوحدة السياسية، بل والتوسعات الخارجية

يلي ماسبق العصر الأشوري، الذي يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل: العصر الأشوري القديم(2000-1500ق.م) لكن كمملكة مستقلة ثم تابعة لسلالة بابل الأولى، ثم العصر الأشوري الوسيط (1500-911 ق.م)، فالعصر الأشوري الحديث(911-612 ق م)، محققة خلال المرحلتين الأخيرتين السير نحو الوحدة السياسية، بل والتوسعات الخارجية تليها الوحدة السياسية خلال العصر البابلي الحديث(626-539 ق م) باعتبارها آخر عهود البابليين وآخر دولة في حضارة بلاد واد الرافدين.

وفي هذا الصدد يمكن إعطاء لمحة تاريخية عامة حول مدى استمرارية الدولة الموحدة في بلاد الرافدين

كان الوضع السياسي خلال العصر الأكادي(2371-2161 ق.م) مميزًا، وذلك من خلال نجاح أوّل وأشهر ملوكها "سرجون" في تحقيق وحدة سياسية تضمّ جميع دول المدن السومرية، والتي اعتبرها المؤرخ طه باقر بمثابة محاولة كان لها النّجاح أكثر من محاولة " لوكال زاكيزي"وبذلك ظهرت السلطة المركزية التي لا تكون إلاّ لمن يملك قوة عسكرية كبيرة وإذا كانت السيطرة الأكادية قد غيرت على بلاد واد الرافدين في العصر السرجوني مجريات التاريخ، فقد بقي الطابع السومري المهيمن على حضارتها

استمر نفس النظام المركزي في الحكم خلال عصر سلالة أور الثالثة(2112-2004 ق م)، وأُسّست دولة ضمّت جميع المدن والدويلات التي كانت فيما سبق تحت نفوذ الإمبراطورية الأكادية، وقد اتّبع ملوك هذه السلالة ولاسيما الحكّام الأوائل منهم سياسة مركزية غاية في الدّقة، ووضعوا الخطط اللّازمة لمنع احتمال حدوث أيّ تمرد أو عصيان محلي ضد الحكومة المركزية، وبعد سقوط أور(2004 ق.م) وأسر آخر ملوكها على يد العيلاميين، والذي يُعدّ آخر الملوك السومريين' لِتبدأ مرحلة جديدة وهامة في تاريخ بلاد الرافدين، عرفت بالعصر البابلي القديم (2004-1595ق.م)، حيث تفككت فيها وحدة البلاد، وعادت إلى طابع حكومات المدن في عصرها الثاني، والذي عاشت فيه البلاد انقسام ثم وحدة سياسية على حدّ سواء، ممّا يجعل هذا العصر مميزًا عن غيره من العصور

التاريخية الأخرى لبلاد الرافدين، نظرًا لاشتماله على مظهرين سياسيين هامين هما: نظام الدولة المدينة الثاني ثم نظام دولة القطر الواحد.

رغم ما تخلّل حقبة العصر الأشوري بمراحله الثلاث(2000-612 ق م) من أحداث، فقد استطاع الأشوريون بسط نفوذهم على بلاد الرافدين، موحّدين بذلك بين شطريه الشمالي والجنوبي في شكل دولة واحدة، و لم يكن هذا الأمر سوى إضافة للمحاولات الوحدوية للعديد من الحكام' أمثال لوكال زاكيزي، وسرجون الأكادي وحمورابي وغيرهم' وبذلك كان الملك في بلاد أشور هو رأس الحكومة المركزية، يُدير البلاد من قصره' بل ويعتبر نفسه الملك والكاهن الأكبر والقائد الأعلى للجيش، وكانت السياسة الأشورية المتّبعة في إدارة الأقاليم والبلدان التابعة لنفوذها تختلف باختلاف طبيعة العلاقة التي تربط البلد أو الإقليم بالدولة الأشورية والحكومة المركزية، والهدف من ذلك تقوية السلطة الملكية، والحدّ من النفوذ المتعاظم للأمراء الكبار، وتَمثّل ذلك في مضاعفة عدد المقاطعات في الدولة، وتصغير حجم رقعتها.

وفي العصر البابلي الحديث استمر حكم هذه الدولة مدّة تناهز القرن(626-539 ق.م)، وصلت خلالها إلى أوجّ عظمتها وازدهارها، وسيطرت على معظم أنحاء الشرق القديم، وقضت على العديد من الدويلات والممالك، ومع ذلك لم تتمكّن من المحافظة على النّظام المركزي، فظهرت قوة المعبد في المدن الرئيسية الرّامية إلى الاستحواذ على السلطة في الدّاخل، وباتت مؤسسات المعابد تهدّد سلطة الملك نفسه، وتتدخل في شؤون الحكم، حتى انتهت بالسّيطرة على البلاد الأمر الذي عجّل سقوطها على يد الفرس عام 539 ق.م.

ثالثا.القوانين

لاريب في أنّ شهرة حمورابي في التاريخ إنّما تعتمد في الدرجة الأولى على قانونه المشهور والمكتوب باللّغة الأكادية، أكثر مما تعتمد على فتوحاته أو اهتمامه باقتصاديات دولته ورغبته في توحيد بلاد الرافدين، فقد استند قانونه على مجموعة من الأفكار والمبادئ تمثل خلاصة التجربة القانونية للعراقيين القدماء، بل وتُعبر أيضًا بدورها عن المرحلة التطورية في البناء الإجتماعي والإقتصادي

اكتشف قانون حمورابي من طرف البعثة الأثرية الفرنسية إلى بلاد فارس برئاسة " جان دي مورجان" في عام(1901-1902 م)، وذلك في خرائب مدينة سوسة عاصمة عيلام ، وهو محفوظ اليوم في متحف اللّوفر بباريس ولا يزال مجهولا حتى اليوم كيف وصلت هذه النسخة إلى تلك المنطقة، لكن يمكن القول أنها قد تكون جانبًا من الغنائم لغزوة عيلامية على أراضي بابل.

دُوِّنَ قانون حمورابي على مسلة من حجر الدايوريت الأسود، يبلغ ارتفاعها 225سم (ثمانية أقدام) وقطرها من الأعلى 165سم ومن الأسفل 190سم، بينما بلغ قطرها من الوسط 60 سم.

أمر حمورابي بكتابة نُسخ من قانونه على أعمدة تقام في أسواق المدن المختلفة من دولته وقد كتبت هذه القوانين باختصار ودقة ، وقد لوحظ في بعض مواد قوانينه اعتماده على مبدأ القصاص، ولا شك أنّ هذا يعود إلى الدولة الكبيرة التي وحّدها حمورابي تحت سلطته، إنّما كانت في الأساس تضمّ تحت لوائها أقوامًا وشعوبًا كثيرة، وبالتالي فإن عددًا من الأقوام لايمتلك من فائض العيش ما يُمكّنه من دفع الغرامات المادية في حالة مخالفة القانون، وفضلا عن ذلك فإنّ حمورابي لم يفرض القصاص إلا بخصوص الاعتداءات التي تمس بكرامة الأفراد، حيث أن الغرامة المالية ليس بإمكانها أن تمحو تأثير ما يعانيه الشخص عندما تهان كرامته، ولذلك عاقب حمورابي مثل هذه الاعتداءات بِالمِثل، لأنّها حتمًا ترضي الطرف المُعتدى عليه، وممّا يؤكد هذه الحقيقة الخاصة بعقوبة الأفعال جرائم القتل، حيث كانت تعاقب في الحقب التي سبقت القوانين البابلية بالإعدام، لأنّ الغرامات المادية لا تستطيع أن توازي الجرم المرتكب، وبالتالي كان من باب أولى تطبيق مبدأ القصاص بدلا من مبدأ التعويض المادي.

المحاضرة الخامسة

المجتمع الرافديني : ويتم تناوله عبر الحديث عن :

1.فئات المجتمع: إنّ التكوين الاجتماعي للعراق القديم هو نتاج تاريخ طويل من التمازج السكاني ، حيث سكن المنطقة أجناس بشرية مختلفة و متعددة الأعراق، و يمكن التمييز بين عنصرين أساسيين من خلال مخلفاتهم المادية و الكتابية و هم السومريون و الساميون) الأكاديون –البابليون و الأشوريون(، يضاف إليهم عناصر بشرية فرعية كانت أقل تأثيرا في الأحداث التاريخية بالمنطقة كـــ "الكاشيين" و" الجوتيين" و "السوبارتو."

و بدت بلاد الرافدين _طيلة تاريخها_ و كأنها عالم للمدن السومرية و السامية (الأكادية و ـــ البابلية ـــ الاشورية ـــ الكلدانية) ،و لكن في الخلف كان السكان الرحل يلعبون دورا أساسيا باستمرار، حيث لا يذكرون إلاّ عند تماسهم مع الحضر ، إذ تميزوا بوضع مستقل و حرية متبادلة ، و لكن أساليب معيشتهم كانت تؤدي الى المنازعات ، و بفضل النصوص المكتوبة تبيّنّ وجود قبائل العموريين و الأراميين منذ 2300ق.م .

2ـــ طبقات المجتمع في بلاد النهرين : تشكّل مجتمع وادي الرافدين أساسا على طبقتين رئيستين تندر أوجه المقارنة بينهما (التشابه) هما : الأحرار والعبيد ،و ضمّت طبقة الأحرار :فئات وشرائح عديدة من المجتمع منها الحاكمة والمتنفّذة، ومنها المحكومة التي ضمت عامة الناس، وتقف على رأس الفئة الحاكمة الأسرة المالكة التي

اكتسبت وفق ملحمة الخليقة مركز ا خاصا باعتبار الملك نائب الإله في أرضه يتمتع بالتفويض الإلهي، وبذلك أصبح مصدر السلطات والامتيازات، وتلي الأسرة المالكة حاشية الملك من النبلاء وكبار رجال الدولة من مدنيين وعسكريين وكبار الكهنة، أي الفئة الارستقراطية. وكانت لهذه الفئة جميع الحقوق والامتيازات وفق القوانين والأعراف والتقاليد السائدة.

وحسب الدارسين يمكن تقسيم المجتمع في أغلب الفترات التي مرت بالمنطقة كالآتي:

- **طبقة الأحرار**: تطلق عليهم النصوص اصطلاح "الأولياء awilu" ومنهم الملا ئكّ في الريف والمدن ، والتجار والفنانين والعمال وغيرهم من أصحاب المهن والحرف، وتثبت لهم الشخصية القانونية منذ ولادتهم حتى وفاتهم.

- **طبقة الـــــ "مشكينو"**: و تدل النصوص المختلفة على وجود هذه الطبقة بهذا الاسم، "مشكينو" أو "مسكينو"– مواطن الدرجة الثانية– وتقابلها بالعربية كلمة (مسكين) وهم الفقراء ، ويقعون في أسفل السلم الاجتماعي ، و يتشكلون من الأحرار الذين كانت تهددهم حياة العبودية بسبب صعوباتهم المعيشية.

ـــ **الرقيق** :عرف العراقيون القدماء نظام الرق منذ عصور مبكرة من تاريخهم القديم ، وقد وردت الإشارة إلى العبيد و الإماء في أقدم النصوص المسمارية المكتشفة والتي يرقى تاريخ عدد منها إلى القسم الأول من الألف الثالث قبل الميلاد إلا أن نسبة عدد العبيد والإماء إلى عدد سكان البلاد لكان قليلا ، ولاسيما في العصور المبكرة ثم ازداد العدد تدريجيا وبخاصة بعد أن زادت الحروب والحملات العسكرية وما جلبته من أسرى من البلدان المختلفة الذين أصبحوا عبيدا ،و كانت نسبة الإناث من العبيد إلى الذكور كبيرة تصل إلى ثلثي العدد الكلي ، نظرا لفائدة الإناث المزدوجة . وكان العبيد، ذكورا وإناثا ، يعدون ملكا خاصا للمالك يتصرف بهم. *ـــ

–الأسُرة و دور المرأة في بلاد ما بين النهرين: تعدّ العائلة عند البابليين و الأشوريين عائلة أبوية ، أي أن للرجل فيها حقوقا تفوق حقوق المرأة ، و لكن هذا الامتياز لم يصل الى حد استعباد المرأة أو إخفاء دورها الاجتماعي أو الاقتصادي ، فقد ضمن القانون العراقي القديم للمرأة حقوقها الاجتماعية و الاقتصادية قبل الزواج و بعده بصورة واضحة ، إذ منع الرجل من حق تطليق المرأة التعسفي أو الكيفي (كيفما يشاء) ، و حصره في حالات استثنائية مقابلمنح المرأة حق طلب الزواج.

2ـــ العمارة : امتازت حركة التطور المعماري في العراق القديم بتفاعل كامل و حيوي بين المادة الأولية التي تصنع منها المواد الإنشائية و بين طبيعة البيئة و المناخ اللذين يحيطان بالمنشآت المعمارية حيث عرف إنسان العراق القديم وسائل تحقيق أهدافه العمرانية بالتجربة و اكتساب الخبرة المتراكمة ، و في هذا كانت مادة الطين في شمال بلاد النهرين و جنوبه المادة الرئيسية الأوفر و الأكثر اقتصادا والأسهل في عملية التطويع و التشكيل بأيدي البنائين كما في أنامل النحاتين و الفخاريين ، حيث تم استعمال اللبن المجدب في عمليات

الإنشاء و معه الطين كوسيلة ربط و الإسفلت كمادة عازلة في الحمامات و أحواض المياه و كذلك الزفت و الجص بدرجات أقل.

وفي الشمال استخدم الأشوريون إضافة إلى اللبن و الطين الأحجار في البناء خاصة في القشرة الخارجية لأسوار المدن مثل سور "نينوى" و القصور و المصاطب مثل "القلعة الملكية " في "خرسباد" و في أكساء قواعد الأبراج الدفاعية مثل "أشور" أو أعمال الجسور والقناطر و أقواس الأبواب ، كما في حصن "شلمنصر "في "نمرود" أو قناطر مياه "سنحاريب" شمال "الموصل" أو في تبليط طرق الارتقاء كما في معبد "نبو" في "خرسباد"

وإن من أهم المجاميع البنائية في الفترة قيد الدراسة هي المعابد ،حيث يلاحظ تعدّد أنواعها و أهمّها المعابد للآلهة الرئيسية المنفردة و هي عادة معابد أرضية في مناطق مركزية أو هناك المعابد المرتفعة فوق المصاطب ، المشيدّة من اللبن بطبقة أو طبقتين و هناك المعابد الملاصقة للزيقورات ، و هي معابد أرضية أو منخفضة تكون في الصحن المحيط بالزيقورة و لها واجبات تكميلية ، ثم لدينا المعابد المرتفعة "الزيقورات" و تكون فوق ارتفاعات اصطناعية يشكل المعبد الطبقة الأعلى و لا تقل طبقاتها عن ثلاث طبقات دون احتساب المعبد .

واشتهر من **المباني الملكية** في العصر الأشوري قصر الملك "آشور ناصربال الثاني "(حوالي 879 ق.م) على نهر دجلة بـــ"نمرود"، و الذي استخدم في عهود "سرجون الثاني" و سنحاريب" ، كما اشتهر من هذه الفترة **حصن** الملك "شلمنصر الثالث"ابن "آشور ناصربال الثاني" و المشيدّ في الزاوية الجنوبية الشرقية من "نمرود" مقابل الحيالملكي ، و كان هذا الحصن واسعا و يشمل عدة ساحات و قاعات و مداخل ينتقل منها عبر بعضها حتى قاعة العرش و يعدّ العصر الكلداني ـــ حسب كثير من المختصين ـــ عهد الفخامة بالنسبة للمظهر العمراني ببلاد الرافدين ،خاصة عهد "نابوبلاسر" و ابنه "نبوخذ نصر الثاني" ، إذ قاما بإعادة تخطيط مدينة "بابل" مع التركيز على القصور الملكية ، و ذلك عبر إقامة شارع رئيسي للربط بين القصور ووسط المدينة و هو "شارع الموكب" ، كما ركزوا في عمارتهم على "برج بابل "الشهير و معبد الإله "مردوخ"، و من أهمّ ما تمّ الكشف عنه في مدينة بابل "القصر الجنوبي" الذي بناه "نبوخذ نصر الثاني" على مساحة 52 ألف م^2 فوق مصطبة عالية ، و ترتفع جدرانه من حوالي 12 إلى 15 مترا ، و لهذا القصر خمس ساحات متتالية أكبرها الساحة الثالثة الوسطى ، و يبلغ ضلعها 60 مترا و تلتصق في ضلعها الجنوبي بقاعة العرش الكبرى ، و هي بمساحة) 55×35م(و لها ثلاثة أبواب.